جمهورية العراق ديوان الوقف الشيعي

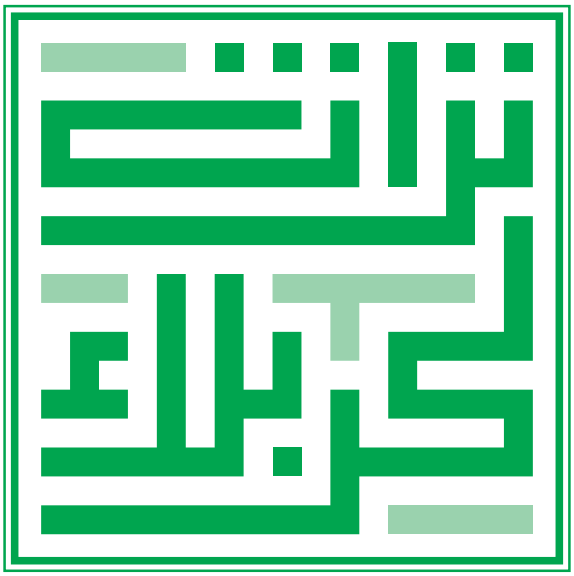

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالتراث الكربلائي

مجازة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معتمدة لأغراض الترقية العلمية

تصدر عن:

العتبة العباسية المقدسة

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

مركز تراث كربلاء

السنة الرابعة/ المجلّد الرابع/ العدد الرابع

شهر ربيع الأول ١٤٣٩هـ / كانون الأول ٢٠١٧م

سورُ مدينةِ كربلاء في العصرِ العثمانيّ

Kerbala City Fence In the Ottoman Era

أ. م. د. سعدي إبراهيم الدراجي

جامعة بغداد / مركز إحياء التراث العلمي العربي

Asst . Prof . Dr. Saady Ibraheem Al- Darrajy

Baghdad University / The centre for
Restoration of Arabic Scientific Heritage
saadiib1955@gmail.com

الملخَّص

يعنى هذا البحث بسور مدينة كربلاء الذي أزيل تماماً في النصف الأوّل من القرن العشرين، وعُفى أثره نتيجةً لتوسيع الشوارع وفتح أخرى جديدة، والإهمال ومشاريع الإملاء الحضري، علاوةً على التقادم والحروب وكوارث الطبيعة.

وأهميّة الموضوع تكمن بوصفه بكراً، لم يسبق لأحدٍ من الأثريين دراسته أو توثيقه، ولعلّ غياب الدراسات الحديثة عن السور كانت بسبب ندرة المعلومات المتوافرة عنه في المصادر التاريخية، وقلَّة الدلائل التي تشير إلى مساره في المحلّات القديمة.

لقد حاول الباحث رسم شكل السور وتعيين مساره في المدينة القديمة بالاعتماد على المصادر المحليّة والخرائط المرسومة في زمن الاحتلال البريطاني أو بعده. ثمَّ الوقوف على عمارته ومواد بنائه وتقدير قياساته وعدد أبراجه وموقع أبوابه الستة، مع ذكر أسمائها ودوره في الأحداث التاريخيّة التي شهدتها المدينة في أثناء العصر العثماني.

Abstract

The present study dealt with the Kerbala city fence which was completely removed and demolished in the first half of the twentieth century ; one could not find its remains due to the opening of many streets, the negligence, and the establishment of different modern orban projects in addition to becoming old and to the breaking out of wars and the natural disasters.

This subject is considered new and important as it has never ever been tackled or documented by archaeologists . The absence and rarity of the new studies dealing with the fence might be due to the rarity of information and data in the historical studies and also the rarity of the evidence and traces which indicate its route and line in the old and ancient districts .

The researcher tried to draw the fence and indicate and appoint the route of it through the old city depending on the local references and on the maps drawn during the British occupation or after it . Besides, he sheds light on its architecture and building materials and sees its measurements and also shows the number of its towers together with the situation of its six gates mentioning their names in addition to mentioning the role the fence played in the historical events the city witnessed during the Ottoman era .

.

المقدّمة:

إنّ أقدم ذكر لموضع كربلاء في مصادرنا العربية يرد إلينا هو أثناء الفتوحات الإسلامية الأولى إذ أقام في أرضها خالد بن الوليد أياماً وذلك عند فتحه الحيرة سنة ١٢هـ[١]. أمّا تأسيس مدينة كربلاء وتطوّرها فمرتبط بتاريخ مشهد الإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام. إذ لم يكن في كربلاء للعمران أثرٌ يُذكر إلّا بعد استشهاد الحسين عليه السلام سنة ٦١هـ [٢]. إذ اجتمع الناس حول الضريح وبدأت العمارة تزداد وتتسع شيئاً فشيئاً حتى أصبحت مدينة مشهورة بمرور الزمن. ولم تشهد كربلاء في العصر العباسي الأوّل نهضةً عمرانيّةً واضحة عدا بعض الإصلاحات التي أمر بها بعض الخلفاء العباسيين ومنهم الخليفة المنتصر بالله (٢٤٧- ٢٤٨هـ / ٨٦١ ـ ٨٦٢م) والمتمثّلة بعمارة الحائر وبناء قبّة على المرقد الشريف[٣]. بيد أنَّ كربلاء تقدّمت بعد سيطرة البويهيين على الحكم، إذ شيَّد عضد الدولة في عام ٣٦٩هـ-٩٨٠م قبّةً على ضريح الإمام الحسين عليه السلام والأروقة وعمر حولها بيوتًا وأحاطها بسور[٤].

ونالت المدينة في العهد الصفوي عنايةً خاصّةً، فبعد أن سيطر الشاه إسماعيل الصفوي على بغداد عام ٩١٤هـ-١٥٠٨م وقضى على دولة الخروف الأبيض، زار العتبات المقدّسة في الفرات وأولى مراقدها أهمية كبيرة[٥].

وكان دخول كربلاء في حوزة الدولة العثمانية في العام ٩١٤هـ ـ ١٥٣٤م إيذاناً بالاستقرار النسبي لحقب طويلة، إذ بذل العثمانيون ما بوسعهم لتعمير العتبات المقدّسة وكسب ود السكان، وقد شهدت كربلاء مشاريعَ عمرانيّة كثيرة في المشهدين، كما شهدت إقامة سدّة ترابيّة لإنقاذ المدينة من الغرق. إلّا

أنَّ أهم المشاريع الحيويّة تلك التي كانت مرتبطة بالري والزراعة وأعظمها نهر السليماني (الحسينيّة حاليًّا) الذي أمر بحفره السلطان سليمان القانوني[٦] ومن المفيد ذكره أنَّ مدّة الحكم العثمانية التي امتدّت قرابة أربعة قرون (١٥٣٤ – ١٩١٧م) تخلَّلها صراعٌ صفويّ عثمانيّ على البلاد نتج عنه العديد من الحروب رافقها الكثير من الكوارث الطبيعية التي سببت تراجعًا في جميع نواحي الحياة ومنها العمران المرتبط بالعامل الاقتصادي.

وعلى الرغم من كل النكبات التي أصابت كربلاء من جرّاء الحروب والكوارث وغزوات القبائل وغارات الوهابيين، إلّا أنَّها كانت من أهم الحواضر الإسلامية البارزة التي يقصدُها الزوار من مختلف البقاع. ولا شكَّ في أنَّها أسهمت مساهمة فعليّة في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، بوصفها مركزاً للتمدّن والثقافة والعمران، ومدرسة للعلم والعلماء. ونظراً لطبيعة الدراسة فقد قُسِّمت على مبحثين: ضم الأوّل:

أ. الموقع الجغرافي

ب. بنية المدينة وتطوّرها.

أمّا المبحث الثاني فتناول:

أ. تاريخ بناء السور وإصلاحاته

ب. وصف السور

ج. أبواب السور.

المبحث الأوّل: مدينة كربلاء:

الموقع الجغرافي وبنية المدينة وتطورها

تقع مدينة كربلاء على مشارف الصحراء الغربيّة، وعلى الضفَّة اليسرى لنهر الحسينية، وبالتحديد إلى الجنوب الغربي من العاصمة بغداد نحو ١٠٨ كم. أي على دائرة طول ٤٤ درجة و ٣ دقيقة وعلى دائرة عرض ٣٢ درجة و ٣٤ دقيقة، وارتفاعها عن سطح البحر ٢٩م. وهي بذلك تقع ضمن منطقة المناخ الصحراوي، وسطحها ينحدر تدريجيًّا نحو السهل الرسوبي باتجاه نهر الفرات. أمّا أراضيها فتتصف بأنَّها رمليّة عدا الأطراف الشمالية الشرقية فهي صالحة للزراعة وتكثر فيها البساتين وتكتنفها المزارع والرياض وأشجار الفواكه الباسقة المختلفة الصنوف من الشمال والشرق والجنوب.

وزادت أهميّة المدينة وموقعها بعد شق نهر الحسينية سنة ١٥٣٤م في عهد السلطان سليمان القانوني، وكان يسمّى باسمه (نهر السليماني)، إذ يعدّ من بين المشاريع الإصلاحيّة الكبرى التي أمر بها السلطان أن تقام في العراق. ليس هذا فقط بل عدَّه بعضهم أجلَّ مشروع في حياة البلد وما جاوره من بقاع تصل المياه إليها(٧). ومنذ ذلك الحين أخذت المدينة بالتوسع والنمو وممّا ساعد على ازدهارها خصوبة تربتها ووفرة مائها، كما أنَّها تتوسّط مدينتين مهمّتين هما الحيرة عاصمة المناذرة وعين التمر البلدة المشهورة بإنتاجها الزراعي.

بنية المدينة وتطوّرها:

كانت مدينةُ كربلاء قبل عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م تحتوي على ثلاثة أطراف أو ثلاث محلّات سمّيت بأسماء السادة العلويين الذين كانوا يقطنونها منذ القدم: الطرف الأوّل كان يعرف بمحلّة (آل فائز) والطرف الثاني يعرف بمحلّة (آل زحيك) والطرف الثالث يعرف بمحلّة (آل عيسى)[٨]. وبعد هذا التاريخ شهدت كربلاء حركةً عمرانيّة كبيرة إثر المساعدات التي أخذت تتدفّق عليها من بعض بلدان العالم ولاسيّما الهند. فعمرت المراقد الشريفة وأقيمت الأسواق وجدّد السور. وعلى إثر ذلك أعيد النظر بالتقسيمات القديمة فجعل للمدينة ست محلّات سمّيت بأسماء الأبواب المفتوحة بالسور وهي: محلّة باب السلالمة وتقع إلى الشمال من مرقد الإمام الحسين عليه السلام. ومحلة باب بغداد كما عرفت بمحلّة باب العلوة وتقع إلى الشمال من مرقد العباس عليه السلام. ومحلّة باب الطاق وتشغل الجهة الشمالية الغربية من المدينة. ومحلّة باب الخان وتحتل الجانب الشرقي من المدينة. ومحلّة المخيَّم وتقع جنوب غرب المرقدين الشريفين. ومحلّة باب النجف وتشغل قلب المدينة وتشمل الأماكن التي تفصل المرقدين الشريفين[٩].

وفي عهد مدحت باشا (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢م) توسَّعت المدينة باتّجاه الجنوب، وكان هذا التوسّع على حساب السور إذ أزيل جانب منه كي ترتبط أحياء المدينة القديمة بالحي الجديد المعروف بمحلّة العباسية، وبذلك أصبحت المدينة تقسم على قسمين: الأوّل يمثِّل المدينة القديمة التي تتميَّز بكثافة سكّانها وطراز أبنيتها القديمة من مشاهد وأسواق وبيوت تراثية فضلًا عن أزقّتها الضيقة المتعرّجة والقسم الثاني: يمثِّل المدينة الجديدة المخططة على وفق التقاليد الغربية الحديثة والتي تتصف بالشوارع الواسعة المستقيمة والمتقاطعة بزوايا قائمة.

ومحلّة العباسية ما لبثت أن توسّعت كثيرًا فأصبحت تُعرَف بالعباسية الشرقية والعباسية الغربية[١٠].

ثمَّ شهدت المدينة في نهاية العصر العثماني توسعًا آخر باتّجاه الشمال نحو باب بغداد. واستنادًا إلى الخرائط القديمة فإنَّ التوسع في هذه الناحية كان كبيراً، ولاسيّما أنَّ العائق الذي يتمثَّل بالسور آخذ يزول تدريجيّاً. فضلًا عن طبيعة الأرض في هذا الموضع فهي مرتفعة قياسًا للجهة الجنوبية من المدينة، ممّا شجّع الناس على البناء فيها، حتى أصبحت بمرور الوقت محلّة من المحلّات الكبيرة.

ويبدو أنَّ توسّع المدينة خارج أسوارها بدأ قبل عهد مدحت باشا بعقود، إذ يشير عالم الآثار والرحالة الإنجليزي لوفتس الذي زار النجف وكربلاء عام ١٨٥٣م إلى وجود الكثير من الأبنية قائمة خارج أسوار المدينة، وهي على حدّ قوله تعكس نوعًا من الطمأنينة والأمان التي يشعر بها السكان في كربلاء[١١].

ومن المفيد ذكره أنَّ مدينة كربلاء أصبحت في أواخر العصر العثماني من بين المدن العراقية الواسعة في المساحة والكبيرة في عدد السكان. فالسالنامات[١٢] العثمانية دوَّنت إحصائيات بعدد بيوت الألوية والأقضية التابعة لولاية بغداد ونفوسها ومنها كربلاء، وعلى سبيل المثال كان مجموع بيوتها في عام ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م قد بلغ ٥٩٥٢ دارًا، وهذا يعني أنَّ كربلاء في هذا التاريخ أكبر من جميع مدن الولاية بعدد البيوت باستثناء مدينة بغداد والحلّة[١٣].

إنَّ أقدم خارطة خلصت إلينا لمدينة كربلاء رسمت في وقت الاحتلال البريطاني (الخارطة – ١)، وتتصف هذه الخارطة بأنَّها مرسومة على وفق مقياس رسم دقيق. إذ تتضح فيها حدود المدينة القديمة والتوسّع الجديد في الناحية الجنوبية. وتظهر فيها المعالم البارزة وعلى رأسها مشهدا الحسين

والعباس عليهما السلام، تحيط بهما الأحياء السكنية المنتشرة على شكل نسيج مزدحم تتوزَّع داخلها الطرق والأزقة الملتوية، ومعظم الأزقة تبدو غير نافذة، متصلة بفروع تمتد داخل الحارات السكنية. أمّا الشوارع الرئيسة فتبدو عريضة نسبيًّا وجميعها تنطلق من داخل المدينة ومن مركزها المتمثِّل بالمرقدين الشريفين، وبعد أن تخترق أبوابها تتجه باتجاهات مختلفة نحو الخارج لترتبط بالطرق العامّة التي تؤدّي إلى المدن الأخرى مثل بغداد والنجف.

وفي منتصف القرن العشرين توسّعت مدينة كربلاء أيضاً بسبب زيادة عدد سكانها وعلى إثر ذلك أضيفت إليها محلّات جديدة، وحُدِّثت الأحياء القديمة وكان معظمها على حساب موروثها العماري ونسيجها الحضري، فضاعت الكثير من الأبنية التراثية والمعالم القديمة ومنها السور موضوع البحث. الذي أزيل بسبب استحداث شبكة من الطرق العريضة وقد أتى معظمها على الأبنية التراثية ومنها الطريق الحلقي الذي استحدث على حساب السور حيث حلَّ محلّه في الكثير من المواضع، فهو يمر في أغلب مساره فوق السور ولاسيّما في الجهتين الشرقية والغربية، في حين استمرَّ توسّع المدينة باتّجاه الجنوب على وفق النمط الشبكي[١٤].

وعلى وفق هذه الحقائق نستطيع رسم مسار السور وتعيين أبوابه بالاعتماد على الخارطة رقم -١، ومشاهدات الرحالة الأجانب. فضلا عن بقايا السور التي كانت أجزاء منه قائمة حتى وقت قريب في عصرنا الحاضر، إذ تحدّث كبار السن عن أطلال من السور كانت شاخصة في طرف باب الخان وبالتحديد في حمام نينوى، كما توجد بقية في طرف المخيم وتتمثّل في جدار لمعمل يقع داخل أحد الأزقة[١٥]. (الخارطة-٢).

المبحث الثاني:

تاريخ بناء السور ووصفه وأبوابه

أ. تاريخُ بناء السور وإصلاحاته:

يجد الباحث في تاريخ بناء سور كربلاء صعوباتٍ جمّة للوصول إلى تاريخ بنائه على وجه الدقّة، وذلك لقلّة ذكره في مصادرنا العربية والأجنبية. والمرجَّح أنَّ المدينة لم تحظَ بسور قبل العصر البويهي. فالمصادر التي تؤرِّخ للعصر العباسي والحقب التي تليه تتحدّث عن سور الحائر الذي يحيط بالمشهد الحسيني المبارك بإسهاب وتسكت عن سور المدينة.

إنّ أوّل سور تشهده مدينة كربلاء على ما يبدو بناه عضد الدولة البويهي عام ٣٦٩هـ إذ يذكر ابن الأثير(ت٦٣٠هـ) جملةً من الأعمال العمرانية التي نفَّذها عضد الدولة في بغداد ثمَّ أهتم بإعمار مكة المكرمة والمدينة المنوّرة ومشهدي الإمامين علي والحسين عليهما السلام[١٦] وكان عضد الدولة قد زار كربلاء والنجف وأمر بعمارة المشهدين الشريفين بالغري والحائر وأوقف عليهما أوقافًا كثيرة وإليه ينسب تعمير القبَّة والأروقة التي كانت تحيط بالضريح وبالغ في تزينها وعمر البيوت والأسواق المنتشرة حول الحائر، وعصم مدينة كربلاء بالأسوار العالية فجعلها كالحصن المنيع[١٧].

أمّا السور الثاني فهناك من يعتقد بأنّه بني بأمر وزير سلطان الدولة ابن بويه الحسن بن مفضل بن سهلان الرامهرميزي سنة ٤١٢هـ-١٠٢١م إذ أحاط الحضرة وما حولها من البيوت بسور لدفع غائلة الغزو ونحوه عن البلدة[١٨]. ليس هذا فقط بل ذهب باحثٌ آخر إلى أنَّ الرامهرميزي أدار على

بلدة كربلاء سورًا ونصب في جوانبها الأربعة أبوابًا مكينة من الحديد[١٩]. والحقيقة أنَّ مصادرنا القديمة لم تذكر بأنَّ الرامهرميزي قد عمر سور البلدة بل ذكرت أعماله في تعمير المشهد فقط. فعندما أتى ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) على ذكره في حوادث ٤٠٧هـ قال عنه: «هو الذي بنى سور الحائر بمشهد الحسين عليه السلام»[٢٠]. ولعلَّ سور الحائر في هذه الرواية يعني سور البلد، ولاسيّما أنَّ المدينة في مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي كانت صغيرة المساحة، وبيوتها كانت ملاصقة للضريح، لذلك فمن اليسر إحاطتها بسور من اللّبن.

والراجح أنَّ السور البويهي سرعان ما اندثر وعفى الدهرُ أثره، بسبب توسّع المدينة وعدم عناية الحكام به. لذلك لم نجد له ذكرًا في مدوِّنات العصر العباسي الأخير أو بعده. فابن بطوطة الذي زار الحائر سنة ٧٢٦هـ-١٣٢٦م لم يأتِ على ذكر السور في حين أسهب في وصف المدينة ومراقدها الشريفة[٢١].

وعلى الرغم من كثرة أعمال الصفويين في المشهدين، إلّا أنَّهم لم يسعوا إلى بناء سور لمدينة الحسين، فإليهم ينسب بناء القبة المشرّفة والصحن والأروقة المحيطة به والمسجد الكبير الملحق بالحائر الحسيني[٢٢]. أمّا في العصر العثماني (١٥٣٤ – ١٩١٧م) فيرد ذكر السور كثيرا ولاسيّما في القرن الثامن عشر إذ تتفق المصادر المحلّية أنَّ آصف الدولة الهندي (وزير محمد شاه الهندي) هو الذي أقام السور في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وهو الذي سعى إلى العناية بالمشاهد المقدّسة في كل من النجف وكربلاء وعمل على إيصال المياه إلى مدينة النجف، فشقَّ جدولًا يأخذ من الضفّة اليمنى لنهر الفرات،

من فوق مدينة بابل بنحو عشرة كيلومترات، يجري في اتّجاه نهر الكوفة القديم، وقد عرف هذا الجدول فيما بعد بنهر الهندية نسبة إلى آصف الدولة الهندي[٢٣]. وتضيف المصادر المحلّية أنَّ آصف الدولة كان قد زار كربلاء في أوائل القرن التاسع عشر «فأشفق على حالتها، وبنى فيها أسواقا حسنةً وبيوتاً قوراء أسكنها بعض من نكبوا وبنى للبلدة سوراً حصينًا لصد هجمات الأعداء وأقام حوله الأبراج والمعاقل ونصب له آلات الدفاع على الطراز القديم وصارت على من يهاجمها أمنع من عقاب الجو فأمَّنت على نفسها، وعاد إليها بعض الرقي والتقدّم»[٢٤] ويبدو أنّ آصف الدولة لم يبنِ سورًا جديدًا لكربلاء بل جدّد سورها القديم الذي وصفه نيبور عام ١٧٦٥ وقال عنه بأنَّه مخرَّبٌ بأجمعه وله خمسة أبواب وكان بناؤه باللبن فقط[٢٥]. ولعلَّ هذا السور هو نفسه الذي شاهده الرحالة الهندي أبو طالب خان الذي أَمَّ كربلاء في الرابع من شهر ذي القعدة ١٢١٨هـ-١٨٠٤م أي بعد غزو الوهابيين للمدينة بسنتين تقريبًا، وبعد أن ذكر أبو طالب خان أعمال بعض ملوك الفرس القاجاريين في المراقد الشريفة وما تخرب منها على يد الوهابيين جاء على ذكر السور وقال «وقد أدير على كربلاء سور من الرهص»[٢٦].

والحقيقة لم يكن السور محط عناية العثمانيين وغيرهم، إلا بعد ما تعرضت إليه كربلاء وسكّانها من قتل وتخريب على يد الوهابيين عام ١٨٠١م، وأوّل من حاول إعمار السور (الكهية علي) الذي قاد جيشًا كبيرًا في محاولة لإنقاذ المدينة وتتبّع أثر الوهابيين الذين فرّوا إلى الصحراء، بيد أنّ وصول الكهية إلى كربلاء لم يجدِ نفعًا، فقد جمع جيشه في كربلاء والحلّة والكفل

ونقل خزائن النجف الأشرف إلى بغداد وبعد أن فشل في اللحاق بهم عاد إلى كربلاء فحصَّنها بسورٍ خاص[٢٧]. ولعلَّ الكهية أصلح الجوانب التي خرّبها الوهابيون الذين عمدوا على تهديم بعض أجزائه ليتسنّى لهم التوغّل بخيولهم إلى داخل المدينة بسرعة. وكان إصلاح السور بأمرٍ من والي بغداد آنذاك سليمان باشا الكبير (١١٩٣-١٢١٧هـ / ١٧٧٩-١٨٠٢م) الذي سبق وأنْ عمل على تحصين العديد من المدن العراقية ومنها بغداد الغربية والنجف الأشرف، ورمَّم أسوار البصرة والحلّة [٢٨].

ومن المفيد ذكره، أنّ بعض الروايات المحليّة تؤكّد أنَّ الأموال التي تبرّع بها بعض ملوك الهند بعد الغزو الوهابي لإعمار مدينة كربلاء. صرفت بإشراف العالم الديني الكبير آنذاك السيد علي الطباطبائى (ت١٢٣١هـ) والذي أخذ على عاتقه مسؤولية إعادة بناء وترميم المراقد المقدّسة والأسواق والبيوت، وشيّد للمدينة سوراً حصيناً تتوزع عليه الأبراج والمعاقل لحفظها من الغزوات في المستقبل، وجعل لهذا السور ستة أبواب[٢٩].

ولم ينل السور بعد زوال خطر الوهابيين أيَّ اهتمام من قبل الحكّام، ولاسيّما عند مجيء مدحت باشا (١٨٦٩ – ١٨٧٢م) الذي هدم قسماً منه من جهة باب النجف ليضيف حيًّا آخر إلى المدينة سمّي بحي العباسية كما أسلفنا.

ب . وصفُ السور:

زار مدينة كربلاء عددٌ من الرحّالة الأجانب لما للمدينة من شهرة عظيمة في العالم ومكانة كبيرة في نفوس المسلمين. وتحدّثوا عن الحياة الاجتماعية

والاقتصادية داخل كربلاء واهتمّوا بذكر المشهدين كثيراً، لكنَّهم لم يأتوا على أسوار المدينة إلّا لماماً وأوّل هؤلاء الرحّالة البرتغالي (تكسيرا) الذي زار العراق عام ١٦٠٤م ووصف مدينة كربلاء وقدّر عدد بيوتها بأربعة ألاف بيت بعضها ذات تصاميم جيدة وبعضها الآخر بسيطة أو متآكلة[٣٠]. لكن تكسيرا الذي أطنب في وصف المدينة، لم يشر إلى أسوارها وكانت الأسوار على عهده قائمة. فحين استولى الإيرانيون على بغداد عام ١٦٢٣م أعلن (ناصر بن مهنا)[٣١]ولاءه للشاه لكنّه سرعان ما انشقّ عنهم وحاول في شهر حزيران ١٦٢٥م أن يطرد الإيرانيين من كربلاء، لكنَّ الحامية الموجودة بالمدينة استطاعت أن تصدّ هجومه وأن تكبّده خسائر كبيرة[٣٢]. ممّا يدلُّ على مناعة أسوارها.

ولم تحظَ أسوار كربلاء وتحصيناتها الدفاعية باهتمام (نيبور) الذي زارها عام ١٧٦٥م، كما حظيت مدن أخرى مثل بغداد والبصرة والموصل والنجف. إذ وضع لكلٍّ منها مخططًا أشّر فيه حارات المدينة وشوارعها ومنشآتها ورسم أسوارها وأبراجها وقلاعها. أمّا كربلاء فقد اكتفى نيبور برسم تقريبي لمشهد الإمام الحسين عليه السلام، لأنَّه لم يتمكّن من الدخول إلى الأماكن المقدّسة فيها إلّا متنكّرا. وقد أشار إلى السور وأكّد بأنَّه مخرّبٌ وله خمسة أبواب وهو مشيّد باللبن[٣٣].

وهناك إشارات لسور المدينة وأبوابه نقف عليها في المصادر التي تتحدّث عن تعاظم الوهابيين وغزواتهم المتكررة على العتبات المقدّسة في العراق. ومن أهمّها غزوة الوهابيين لكربلاء في الثاني من نيسان عام ١٨٠١م. إذ لم تستطع

أسوار المدينة من الصمود أمام القوّة الكبيرة الزاحفة التي تقدر بألف فارس وهجّان، فبعد أن باغتوا المدينة الآمنة وحاصروها ليلًا، هاجموا أحد أبواب السور وسرعان ما أخذوا طريقهم إلى الأضرحة المقدّسة وأخذوا يخربونها فاقتلعت القضبان والمعلّقات النادرة والأبواب المرصّعة ونهبت النفائس والحاجات الثمينة من هدايا الباشاوات والأمراء والسلاطين والملوك، أمّا البلدة نفسها فقد عاث الغزاة فيها قتلًا وفسادًا وتخريباً[٣٤].

ومن الطبيعي أن تحظى أسوار كربلاء بعناية الحكّام والقائمين على المدينة بعد هجوم الوهابيين عليها في بداية القرن التاسع عشر إذ نستشف من كلام الرحالة الإنجليزي (جون أشر) الذي أمَّ كربلاء في نهاية عام ١٨٦٤م أنَّ سور المدينة في هذا الوقت كان محكماً، إذ يدوّن رحّالتنا مشاهداته ساعة دخوله المدينة ليلًا، وكان قد بعث قبل وصوله رسولًا يحمل كتب التوصية إلى قائممقام كربلاء، لذلك فتح باب السور لقافلته عند أوّل وصوله إليها بعد مغيب الشمس، وبعد أن مرّت قافلته بين أزقة البلدة الضيقة التي كانت تضيء ظلماتها الفوانيس المعتمة التي بعثها القائممقام لتحمل أمامه وصلوا إلى داره فاستضافهم في بيته[٣٥].

ويأتي ذكر السور في واقعة الميراخور (المناخور) سنة ١٢٤١هـ ـ ١٨٢٥م في عهد الوالي داود باشا، وهي من أشهر الحوادث التي مرّت على كربلاء بعد حادثة الوهابيين. وسببها أنَّ داود باشا الذي قام بإصلاحات كثيرة ونظَّم الجيش وزوده بأسلحة حديثة، قد حاول الاستقلال على غرار مصر وبعض الولايات، وطلب مبايعة المدن العراقية فبايعته باستثناء الحلّة وكربلاء اللتين

رفعتا راية العصيان ضدّه، فجهَّز جيشًا بقيادة قائد الإسطبل (الميراخور) فأخضع الحلّة ثمَّ حاصر كربلاء ولم يقوَ على افتتاحها لحصانة سورها ومناعة معاقلها، ولمّا رأى ذلك أقلع عنها بعد حصار دام أربع سنوات وكان نتيجتها أن أسَّر الجيش نقيب كربلاء فسجنه داود باشا في بغداد(٣٦).

كما يأتي ذكر السور ودوره في التصدّي للقوّات العثمانية في حوادث عام ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م، إذ شهدت كربلاء حادثةً مروِّعةً صاحبها انتفاضة كبيرة على إثر حصار والي بغداد محمّد نجيب باشا للمدينة بقصد إخضاعها بعد أنْ رفضت قبول الحامية التركيّة وبقائها فيها، وتبع ذلك الرفض حركات عسكريّة حيث دافع أهل البلدة بكل حماس، وأعقب العراك في البساتين المجاورة حصار منتظم كان نتيجته أن دخل الجند الأتراك البلدة فارتكبوا فيها تجاوزات كثيرة، وبدلاً من أن يستعين (محمّد نجيب باشا) بالرويّة والعقل في معالجة المشاكل بادر إلى استعمال القوّة. فقد جرد على البلدة المقدّسة قوّة كبيرة مجهّزة بالأسلحة الحديثة حاصرها لمدة خمسة وعشرين يوماً فاتفقت فئات الكربلائيين جميعاً على الدفاع عن النفس بكلِّ عزم وقوّة، واشترك العلماء في ترميم الأسوار بعد أضرار القصف التي حلّت بها من قبل مدفعية الجيش. وكان القائد التركي قد سلّط نيران مدافعه على جزء من السور في نقطة معينة لا تبعد سوى ستين ياردةً عن بوابة النجف. فأحدثت ثغرةً واسعة فيه قُدِّرت سعتها بخمسين ياردةً. وعند ذاك فتحت بوابة النجف لتتدفّق عبرها القوات التركية وتلتحم مع جموع المدافعين في معركة حامية الوطيس اشتركت فيها إلى جانب الكربلائيين قوّة نجدة من بعض العشائر العربية، ولكنّ الجيش

التركي تغلّب في النهاية، وكان دخول قوات الجيش إلى البلدة في اليوم الثاني من أيام عيد الأضحى[٣٧].

إنَّ حملة نجيب باشا قد تسبّبت بخراب بعض مباني المدينة وتهديم جانب من سورها الذي تعرَّض لنيران المدفعية التي أحدثت فيه ثغرات سمحت للجيش التركي بالدخول منها إلى قلب المدينة، ومع كل هذا التخريب وصفت تحصيناتها بأنها جيدة. إذ صادف بعد هذه الحملة مباشرة زيارة مستشرق روسي يدعى (إيليا نيكولا بيرزين) وكان وصلها في منتصف عام ١٨٤٣م وبعد أن تحدّث عن كثافة سكانها وأزقتها ودورها المتلاصقة الواحدة بالأخرى تحدَّث أيضاً عن سور المدينة المبني باللبن، وذكر بأنَّه يتكوّن من جزأين الجزء العلوي عبارة عن شُرَف مدرجة وجدت لحماية المقاتلين الذين يقفون خلفها للدفاع والمراقبة، والجزء السفلي قوامه جدار ثخين معزز على ما يبدو بحنايا كبيرة صماء كما هي الحال في سور بغداد تماماً. إذ تستغل الحنايا وقت السلم أحيانا مأوى للفقراء الذين لا دور لهم[٣٨].

لقد تطوّرت المدينة واكتملت معالمها وزاد سكّانها وتوسّعت أحياؤها، وبرزت أهميتها في نهاية القرن التاسع عشر، لذلك عندما زارها الآثاري الأمريكي (جون بيترز) في سنة ١٨٩٠م وصفها بأنَّها مدينةٌ مزدهرة، والقسم الجديد منها المبني خارج السور يتميّز بشوارعه العريضة ذات الأرصفة المنتظمة، ويبدو وكأنَّه حي أوربي، ومع أنَّ أسوارها مهدّمة فإنّ أبوابها مازالت قائمة تجبى فيها المكوس والضرائب على البضائع الداخلة إلى المدينة[٣٩]. وبعد ذلك زار المدينة المستشرق الإنجليزي لوريمر Loremar

في عام ١٩٠٥م وتحدّث عن أهميّتها التاريخية والحضارية وذكر بأنَّها تتألف من قسمين: الأوّل يمثّل المدينة القديمة الواقعة في الشمال والثاني يمثّل المدينة الجديدة في الجنوب، والقديمة مازالت محاطة بالأسوار من الشرق والغرب والشمال ومفتوحة من جهة الجنوب وهي مزدحمة بالسكان. وقد بنيت أسوارها باللبن بارتفاع ٢٠ ـ ٣٠ قدم وهي مدعمة بخمسة وعشرين برجًا. أمّا طولها فيربو على ميلين. وشاهد فيها خمسة أبواب لكنّها مع السور بحاجة إلى ترميم(٤٠).

ولما كان السور موضوع الدراسة قد تعرّض للهدم منذ عهد مدحت باشا لتوسع المدينة من جهة وزيادة عدد سكّانها من جهة أخرى. فمن الطبيعي أن يصف أحد التقارير الإنجليزية كربلاء في عام ١٩١١م أنَّها غير مسورة وتضم خمسة آلاف بيت حسن البناء. كما وصفت المدينة من قبل الدكتور دونالسون عام ١٩٢٨ بأنّها محاطة ببساتين لا يحميها سور(٤١). وهدم السور كان نتيجة الإهمال وانتفاء الحاجة إليه، وضيق المدينة بسكّانها حيث توسّعت وامتد البناء في بعض الجهات خارج حدود أسوارها القديمة، كما تعمد بعض السكان إلى تهديم السور للاستفادة من الآجر واللبن في بناء بيوتهم(٤٢).

إنّ ورود بعض الإشارات في مصادرنا تؤكّد على استعمال الآجر في بناء السور يجعلنا نعتقد أنَّ السور وأبراجه ومداخله الست مبنية باللبن، واستعمال الآجر اقتصر على الأسس وعلى وجهي الجدار كما في أسوار النجف، لما للآجر من خاصية عالية في مقاومة التجوية(٤٣) بكل أنواعها وكذلك مقاومة عوامل التعرية والرطوبة. ولاسيّما وإنَّ سِمة الأرض في كربلاء رخوة واطئة

كثيرة السباخ والنزيز لقرب المياه الجوفية من سطح الأرض، باستثناء الجهة الشمالية الغربية من المدينة كانت مرتفعة نسبيّاً عن محيطها. وبسبب انخفاض الأرض ظهرت في كربلاء مستنقعات كانت فيما مضى سببًا لانتشار الكثير من الأمراض الانتقالية(٤٤).

ويبدو أنّ السور القديم الذي وصفه نيبور كان مبنيًّا من اللبن ومكسيًّا بطبقة من الطين لذلك تصفه المصادر المحلّية بأنَّه «مركبٌ من أفلاك نخيل مرصوصة خلف حائط من طين»(٤٥) ولعلَّ أفلاك النخيل جذوعها التي تحشر عادة بالبناء بقصد تقوية الجدران لتكوّن دعائم تعمل على إسناد الجدران الطويلة وإدامة بقائها، وتوزيعها على السور يكون عادة بمسافات معيّنة.

والسور متوّج بشُرف مدرجة وزعت على السور بأبعاد متساوية وظيفتها المساعدة على حماية المقاتلين الذين يقفون خلفها للدفاع والمراقبة(٤٦).

ومن الطبيعي أن يكون للسور أبراج نصف دائرية تشبه تمامًا الأبراج الداعمة لسور النجف، وعددها مجهول لأنّ سور المدينة لم يصلنا مرسومًا أثناء العصر العثماني، ومعلوماتنا عن طبيعة الأبراج وعددها مستقاة من رواية لوريمر (١٩٠٥م) السالفة الذكر. وعددها خمسة وعشرون برجًا. ومن المؤكّد أنّ (لوريمر) قصد السور بعد تهديم الجزء الجنوبي منه وإذا افترضنا أنّ التهديم طال ما يقارب ربع السور فإنّ عدد الأبراج في السور الأصلي قبل عصر مدحت باشا يكون قرابة ٣٥ برجًا. (الخارطة -٣)

والحقيقة لم يكن داخل أسوار كربلاء فسحات خالية من البناء والبساتين كما في بغداد والموصل والبصرة، حيث تبدو المدينة مكتظة بالمباني العامة من

أسواق وخانات ومساجد وأضرحة وبيوت سكن. وكانت بعض البيوت ملتصقة بالسور ولاسيّما من الجهتين الشرقية والغربية. ولا شكّ إنَّ التصاق البيوت بالسور تساهم في دعمه وإسناده وحمايته من السقوط، إذ شكلت جدران بعض البيوت المبنية عليه بشكل عمودي مساند ساهمت في تقويته ومقاومته لعوادي الزمن.

أمّا عن شكل السور وأبعاده فمن الواضح أنَّه غير منتظم، وعدم انتظام شكل السور يعود إلى طبيعة توزيع البيوت في الحارات السكنية، ومساره كان قريبًا من الأطراف الخارجية لبيوت السكن، ولهذا السبب قد لا نجد في السور جدرانًا طويلة مستقيمة أو منحنية بانتظام. ومن الواضح أنّ مسار السور بالقرب من الحدود الخارجية لبيوت السكن كان بقصد تقليل نفقات البناء، إذ لا تسمح هذه الطريقة بترك مساحات كبيرة فارغة بين بيوت المدينة وسورها.

وبشأن أبعاد السور فيقدر لوريمر طوله بميلين[٤٧]. وهو تقدير صحيح يكاد يقترب من الواقع، ولاسيّما أنَّنا نستطيع تتبع مساره من خلال خارطة مدينة كربلاء المرسومة في عهد الاحتلال البريطاني وطول السور المتمثّل بمحيط المدينة القديمة يربو على ثلاثة كيلو مترات. وهناك تقديرات أخرى تخص المدينة ذكرها الإيراني عبد العلي خان المعروف بـ (أديب الملك) سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م، وقد قدر مساحة المدينة المحاطة بالأسوار بنصف فرسخ، وهي مكتظة بالزائرين والساكنين[٤٨].

ج. أبواب السور:

تُذكر أبواب السور عادة عند الحديث عن الجنائز التي تُحمل من شتّى البقاع لتدفن بالمقابر القائمة بجوار مشهد الإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام حيث كانت الحكومة التركية تجبي ضريبة تدفع عند الأبواب.

لقد وصف أحد الرحالة تنظيم دخول الجنائز إلى البلدة إذ كانت الجهات المسؤولة عن إدارة المدينة وحراستها لا يسمحون بإدخال عدد كبير من الجنائز إلى البلدة مرة واحدة، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أنَّ الجنائز في بعض المواسم تصل بأعداد كبيرة فيؤدي دخولها إلى انتشار الأمراض وازدحام الطرق والأزقة في داخل البلدة. وقد تصل في قافلة واحدة قادمة من إيران ألف جنازة في وقت واحد، وكل واحدة منها يكون في صحبتها شخص أو أكثر من أقارب المتوفّى[٤٩].

وتصف مدام ديولافوا (١٨٨١م) الحركة الدؤوبة التي شاهدتها أمام أحد أبواب المدينة، وكانت قادمة من الحلّة، إذ توجد ساحات واسعة يشغلها عدد من الحجّارين المنهمكين بقطع الحجارة وتشذيبها لاستعمالها في بناء القبور وكتابة الشواهد، وكانت الحجارة تهيأ مسبقاً لعرضها على الطالبين من أصحاب القوافل القادمين إلى هذه المدينة لدفن موتاهم فيها[٥٠]. ويبدو أنّ هذا الباب كان مخصصا لدخول الجنائز لقربه من المقابر، لذلك لم يسمح الحراس للقافلة التي صاحبتها مدام ديولافوا بالولوج منه إلى داخل المدينة. وطلبوا من الأدلاء أن يتوجهوا بالقافلة إلى باب آخر[٥١].

يقارن الرحالة لوفتس (١٨٥٦م) مدخل مدينة كربلاء مع مدخل مدينة

النجف. ثمّ يذكر أنَّ مدخل مدينة كربلاء أكثر جمالًا من مدخل مدينة النجف، لوجود الكثير من بساتين النخيل حول المدينة، وفي ظاهر المدينة عدد من مصانع الطابوق التي تنتج ما يشبه طابوق مدينة بابل الأثرية(٥٢). وحينما وصل موكب لوفتس وجماعته في صباح أحد الأيام استقبل استقبالًا حافلًا في مدخل المدينة فقد خرج الحاكم وبصحبته عددٌ من الموظفين والوجهاء والمعمّمين لتقديم احتراماتهم على الطريقة الشرقية. ثمَّ دخلوا المدينة في موكب حتّى نزلوا في السراي(٥٣).

ومن المفيد الإشارة إلى الساحات الكبيرة والبساتين التي كانت تحيط بأسوار كربلاء، تلك الساحات التي تُعدّ معسكرات لمبيت الزوار الفقراء الذين لا يستطيعون الإقامة في خانات المدينة ومنازلها، لذلك يضطر الوافد أحيانًا إلى الإقامة مجاناً بجانب دابته وأثاثه البسيط في مضارب من الخيام. فضلا عن العدد الكبير الذي يؤمُّ المدينة من الزوّار لا طاقة لها باستيعابهم مع كثرة خاناتها ومنازلها ودورها المخصصة لإقامة الزوار(٥٤).

وفي داخل المدينة وعلى مقربة من أبوابها تنتشر في العادة الخانات المعدّة لاستقبال الزوار وإقامتهم، كما تنتشر بقربها المقاهي المزدانة جدرانها بالصور التي تمثِّل مشاهد مستوحاة من القصص القديمة والأساطير. وقد وصفت سيدة إنجليزية تدعى (ليدي درور) في عام ١٩٢٢م إحدى المقاهي التي تقع على مقربة من باب الحلّة يجتمع فيها مختلف الناس لاحتساء القهوة ومنهم السادة بعمائمهم الخضراء(٥٥).

وفيما يخصّ عدد الأبواب وأسماءها، فمن المؤكد أنَّ السور القديم الذي

شاهده نيبور في عام ١٧٦٥م مخربًا بأجمعه كان له خمسة أبواب لم يأتِ على ذكر أسمائها واكتفى بذكر عددها فقط [٥٦]. وبعد إصلاح السور في مطلع القرن التاسع عشر أصبح للمدينة ستة أبواب بقيت قائمة إلى ما بعد تهديم السور في نهاية العصر العثماني. أمّا أسماؤها فتختلف من حقبة إلى أخرى، ويبدو أنّ بعض الأبواب قد حافظت على أسمائها مثل باب النجف وباب المخيم، وبعضها الآخر تغيَّر اسمه بسبب استحداث مبانٍ قريبة منه أو أسواق أو خانات لاستقبال الزوار أو لوجود ظاهرة من الظواهر، ومثال ذلك باب بغداد الذي يقع في الناحية الشمالية الشرقية من المدينة وقد تغير اسمه في العهود الأخيرة إلى باب العلوة نسبةً إلى وجود علوة بقربه لبيع الخضروات[٥٧] وكذلك الحال مع بابَيْ الطاق والسلالمة فكانا في منتصف القرن التاسع عشر يعرفان بباب الحر وباب جعفر الصادق عليه السلام وعلى الرغم من تهديم معظم سور كربلاء في نهاية القرن التاسع عشر إلّا أنّ أبوابَها بقيت قائمة تجبى فيها المكوس والضرائب على البضائع الداخلة إلى المدينة كما أسلفنا[٥٨]. وممّا يؤكّد أهميّة الأبواب ودورها في تنظيم الأمن داخل المدينة هو بقائها حتى نهاية العصر العثماني إذ ذكرها أحد الزوار عند مغادرته كربلاء من باب الحر في ٢٨ آذار سنة ١٩١٣م وكان متجها نحو شفاثا الواقعة باتجاه الشمال الغربي[٥٩].

إن أقدم من دوَّن أسماء الأبواب من الرحّالة الإيراني عبد العلي خان (أديب الملك) سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م، وهي: باب بغداد، باب النجف، باب المخيَّم، باب الحر، باب الإمام جعفر الصادق عليه السلام، باب الخان[٦٠]. ومن الملاحظ أنَّ توزيع هذه الأبواب على السور كان على وفق مسافات

متساوية تقريباً، فالمسافة بين بابيْ المخيم والنجف تساوي المسافة بين بابَيْ النجف والخان، والمسافة بين بابَيْ المخيّم والطاق تساوي المسافة بين بابَيْ الطاق والسلالمة. وهكذا تصبح الأبعاد بين الأبواب متقاربة ممّا يحقّق نوعًا من العدالة الاجتماعية بوصف تقارب الأبواب يفضي إلى بعدٍ إنساني يهدف إلى المساواة في تسهيل وصول السكان القاطنين في أطراف أحياء المدينة إلى مركزها التجاري الذي يحتل في العادة المنطقة الوسطى القريبة من الأضرحة.

أمّا عن صفة مداخل المدينة وعمارتها، فعلى الأرجح أنّ تصميمها يشبه تصميم باقي مداخل المدن العراقية ومنها مداخل مدينة النجف الأشرف. إذ تسودها البساطة في التصميم والقوّة في البناء. فعلى سبيل المثال لا الحصر هناك ذكر لبوابة الحر التي تضرّرت من جرّاء القصف المدفعي على المدينة أثناء واقعة نجيب باشا عام ١٨٤٣م. وكذلك هناك ذكر لبوابة المخيم وعندها قتل جمع غفير من المحتشدين الذين لم يتمكّنوا من الفرار بسبب انغلاق البوابة وعدم تمكّنهم من فتحها ممّا يدلّ على قوّتها ومتانتها[٦١]. وقوام معظمها كتل بارزة عن سمت السور في وسطها فتحات واسعة تسمح لدخول الحيوانات بأحمالها الثقيلة بما فيها الإبل والخيول. وفتحات المداخل في العادة تعلوها عقود مبنية بالآجر. وهي في أغلب الأحيان تخلو من كل ضروب الترف والزخرفة، باستثناء الكتابات. إذ تذكر المصادر المحلية بأنَّه كانت على باب المخيّم رخامة نُقشت عليها أبيات للشاعر الكربلائي المرحوم السيد حسين العلوي ونصّها:

هذي خيـــام بني النبيّ محمّد بالطفّ حصناً شيدت للدينِ
قد خصّها الباري لكلّ فضيلة شرفاً فـــلا نبتٌ لها بقرينِ
إن قلتَ مكّة قلتُ هذي كربلا فخراً سرت في عالم التكوينِ
ســـلها إذا شرّفت في أعتابها أين الحسينُ بعبرة وشجـونِ
فتجبك ما قد نـــاله وأصابها من بعده أعداؤه حرقوني[٦٢].

بقي أن نذكر أنَّ الحكومة العثمانية قد سعت في منتصف القرن التاسع عشر إلى بناء سراي وقلعة من جهة السور المفضي إلى النجف الأشرف لتكون دارًا للحكومة ومحلًا لاستقرار العسكر هناك. وكانت سرايا الحكومة ملاصقة لجدار بوابة النجف وهي بمثابة البراني والديوان للقائممقام، يقع أحد طرفي هذه السرايا باتّجاه المدينة والطرف الآخر ملتصق بجدار السور يرابط فيها أربعمائة جندي معهم أربع عربات للمدفعية جاهزة للضرورة[٦٣]. أمّا القلعة فقد شاهدها ملك إيران ناصر الدين شاه القاجاري أثناء زيارته للعراق عام ١٢٨٧هـ-١٨٧٠م ووصفها بأنَّها مبنيّة بالآجر الصلب، والذي بناها كما يزعم حسين سردار الإيراني القزويني حاكم إيروان[٦٤].

الخاتمة

ان ظاهرة الأسوار التي تحيط بالمدن كان معمولاً بها فكانت مدن العراق القديم مسورة بـدءاً بالعصر السومري حيث دويـلات المـدن السومرية وكذلك في العصر الاكدي والعصور البابلية فهذه بابل العاصمة مسورة بأكثر من سُوَر اما في العصور الاسلامية استمرت هذه الظاهرة حتى نهاية العصر العثماني ومن المدن الاسلامية التي عرفت بأسوارها هي مدينة السلام (بغداد) كانت مزودة بتحصينات دفاعية من أسوار يتقدمها خندق ذلك لان للسور أهمية كبيرة من حيث انه يؤدي وظائف وأغراضاً متعددة كان من أهمها وأبرزها هو حماية مركز المدينة من اي اعتداء خارجي او فوضى داخلية وهذا ما يعرف بالاحترازات الأمنية وعزل مركز المدينة عن الاطراف وكذلك ان للسور وظيفة اخرى فهو مكان للمراقبة من الأعداء المتربصين فضلاً عن ذلك مراقبة سير عامة الناس في الحياة اليومية.

ولما كانت كربلاء حاضرة دينية كانت تتصف بأنها من المدن المسورة الا انها لم تستطع من الحفاظ على ذلك السور ولو بجزء يسير فقد أزيل ذلك المعلم السور وهو من التحصينات الدفاعية في المدينة.

ولعل ازالة السور جاء على شكل مراحل زمنية متباعدة تبعاً لظروف متعددة منها بيئة ومنها عوامل بشرية من قلة الاهتمام بالصيانة والترميم بل الأكثر من ذلك عمليات الهدم والإزالة وفي عهد مدحت باشا (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢م) توسَّعت المدينة باتّجاه الجنوب، وكان هذا التوسّع على حساب السور إذ أزيل جانب منه كي ترتبط أحياء المدينة القديمة بالحي الجديد

المعروف بمحلّة العباسية، وبذلك أصبحت المدينة تقسم على قسمين: الأوّل يمثِّل المدينة القديمة التي تتميَّز بكثافة سكّانها وطراز أبنيتها القديمة من مشاهد وأسواق وبيوت تراثية فضلًا عن أزقّتها الضيقة المتعرّجة.

والقسم الثاني: يمثِّل المدينة الجديدة المخططة على وفق التقاليد الغربية الحديثة والتي تتصف بالشوارع الواسعة المستقيمة والمتقاطعة

وبذلك فان هذه المرحلة هي الاخيرة التي غيبت فيها هذه الظاهرة (المدينة المسورة).

(الشكل-١) جانب من بُنيَة المدينة القديمة قبل التحديث

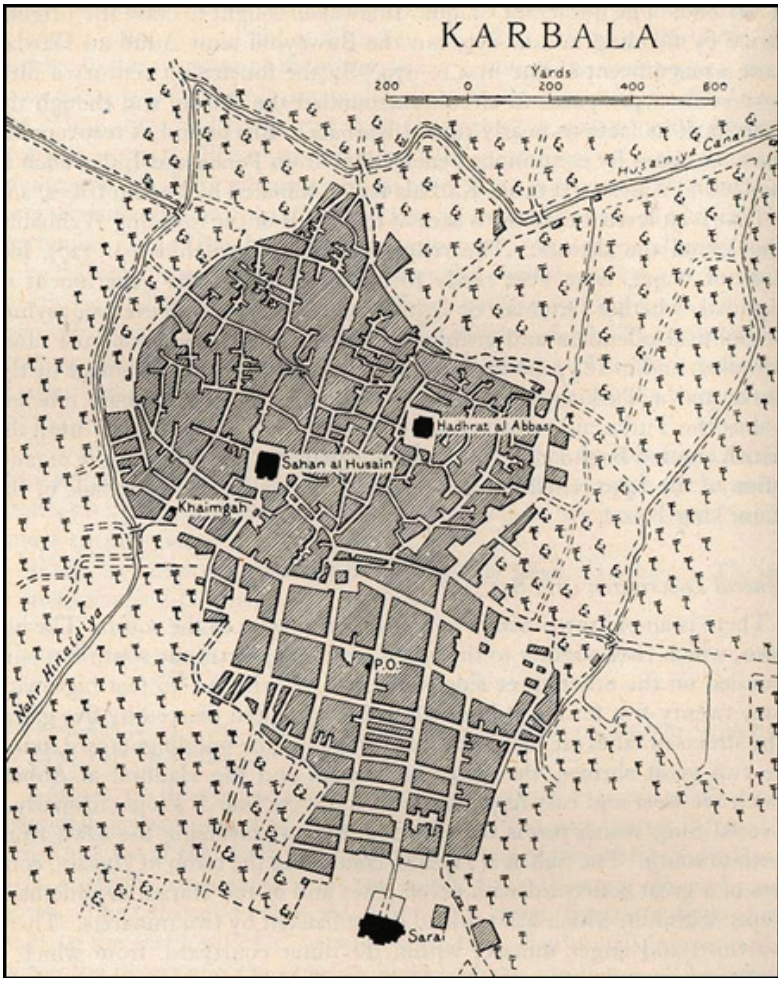

(الخارطة-١) كربلاء في عهد الاحتلال البريطاني عن:

www.holyKerbala.net

(الخارطة-٢) السور في خارطة المدينة / رسم الباحث بالاعتماد على الخارطة رقم -١

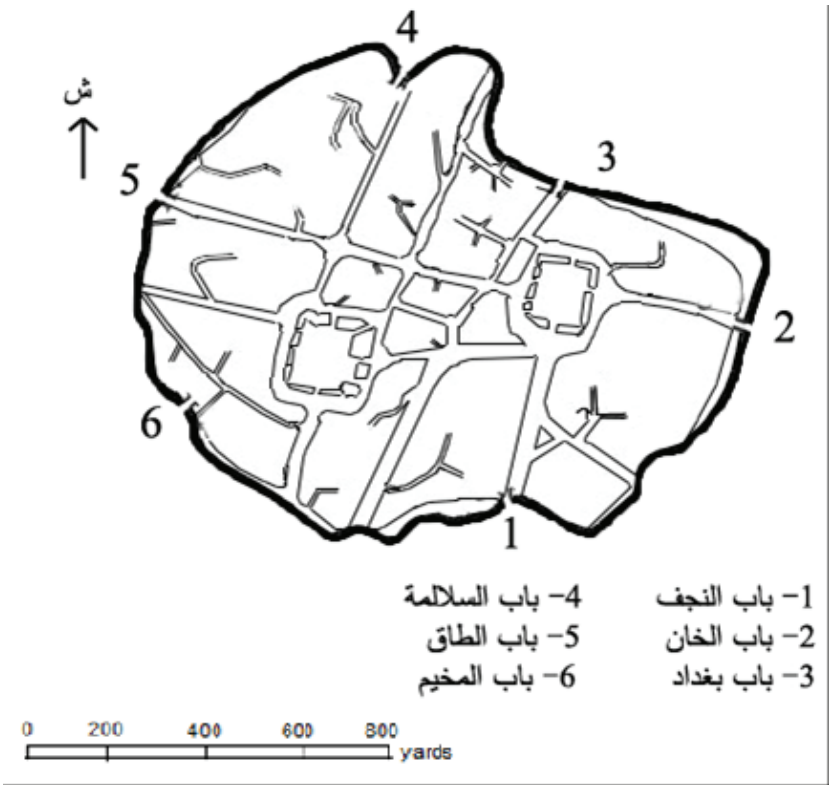

(الخارطة-٣) السور وأبوابه/ رسم الباحث بالاعتماد على الخارطة رقم -١

الهوامش

١. الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ، ص٣٢٢
ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٤٤٥، ٤٩١.

٢. عبد الحسين الكلدار آل طعمة، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، تحقيق عادل الكليدار، مطبعة الإرشاد، بغداد، د.ت، ص١٠.

٣. السيد حسن بن هادي الصدر الكاظمي، نزهة أهل الحرمين في عمارة المرقدين، تحقيق محمد رضا أنصاري، إيران، ١٣٨٧هـ، ص٤٦٦.

٤. عبد الجواد الكليدار آل طعمة، تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ١٤١٨هـ، ص١٥٢.

٥. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٣، الدار العربية للموسوعات،، بغداد، د. ت، ٣٤٨.

٦. لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، مطبعة التفيض الأهلية، ط٤، بغداد، ١٣٦٠هـ- ١٩٤١م، ص٣٩.

٧. نظمي زاده مرتضي، كلشن خلفا، ترجمة موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧١م، ص٤٧. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٤، ص٤٧.

٨. سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، ص٩٨ – ٩٩. يذكر السيد سلمان هادي آل طعمة أنَّه اطلع على وثائق ومستندات تاريخية قديمة كانت محفوظة لدى سادات كربلاء وفيها أنّ محلة المخيم والقسم الشرقي من محلة باب الطاق بقيت تعرف بمحلة السادة (آل عيسى) حتى أواخر عام ١٢٧٦هـ، ولم يتغيّر اسمها إلى محلة المخيّم إلّا بعد هذا التاريخ.

٩. المرجع نفسه، ص٩٩–١٠٠.

١٠. المرجع نفسه، ٩٩.

11. Loftus, William Kennett, Travels & Researches in Chaldeac & Susiana, London – 1857, P – 64.

١٢. السالنامة: هي بمثابة الكتاب السنوي الصادر من الحكومة العثمانية في استانبول لكل ولاية من الولايات العثمانية، وتتضمن السالنامات معلومات غاية في الأهميّة عن السلاطين والولاة والوزارات والقناصل الأجانب والأهم من ذلك كلّه التشكيلات والتنظيمات الإدارية والمالية والعسكرية فضلًا عن السكان وأحيانًا تفاصيل عن بنية المدينة.

١٣. سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣١٥ دفعة ١٣.

وانظر أيضًا: فاضل بيات، بغداد من خلال أرشيف الوثائق العثماني، إعداد فاضل بيات، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ٢٠٠٨م، وثيقة رقم – ٣٥، ص٩٦.

١٤. رعد لفته حسين السعدوني، المدينة العربية الإسلامية من منظور معماري وحضري دراسة تحليلية لمركز مدينة كربلاء، رسالة غير مطبوعة مقدّمة إلى القسم المعماري / كلية الهندسة / جامعة بغداد، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، ص٨٥.

١٥. سلمان هادي آل طعمة، كربلاء في الذاكرة، بغداد، ١٩٨٨م، ص٢١.

١٦. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م، ص٣٧٠.

١٧. عبد الجواد الكليدار آل طعمة، المرجع السابق، ص١٥٢.

١٨. محمّد الأمين، أعيان الشيعة، م٥، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣، ص٣١٥.

١٩. سلمان هادي آل طعمة، كربلاء في الذاكرة، بغداد، ١٩٨٨م، ص٢٠.

٢٠. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٥، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ص١٢٠.

٢١. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة – تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج٢، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧م، ص٥٧.

٢٢. عبد الجواد الكليدار آل طعمة، المرجع السابق، ص٢٣٢.

٢٣. نظمي زادة مرتضي، المصدر السابق، ص٤٧.

٢٤. عبد الحسين الكليدار آل طعمة، تاريخ كربلاء المعلى، المطبعة العلوية، النجف الأشرف ١٣٤٩هـ، ص٢٢.عبد الجواد الكليدار آل طعمة، المرجع السابق، ص٢١١

٢٥. نيبور، مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة إلى الحلّة سنة ١٧٦٥م، منشور ضمن كتاب رحلة نيبور الكاملة إلى العراق، دار الوراق، بغداد ـ بيروت، ٢٠١٢م، ص١٣٣.

٢٦. أبو طالب خان، رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربا سنة ١٢١٣هـ – ١٧٩٩م، ترجمها من الفرنسية مصطفى جواد، مطبعة الإيمان، بغداد، د.ت، ص.٣٨٣.

٢٧. لونكريك، المصدر السابق، ص٢٥٨ – ٢٥٩.

٢٨. الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة موسى كاظم نورس، دار الكتاب العربي، بيروت ومكتبة النهضة، بغداد، ص٢١٩

٢٩. سلمان هادي آل طعمة، المرجع السابق، ص٩٩.

٣٠. جعفر الخياط، مشاهدات تكسيرا في العراق سنة ١٦٠٤م، مجلّة الأقلام، ج٤، بغداد ١٩٦٤م، ص١٣٩.

٣١. نتيجة لضعف الدولة العثمانية أصبحت كربلاء سنة ١٠١٣هـ-١٦٠٤م تحت سيطرة الأمير ناصر المهنّا وهو شيخ قبيلة آل مهنا من عشائر جشعم العربية. والذي كان يطلق على نفسه لقب (ملك). وكان من أعظم شيوخ الصحراء يسيطر على المنطقة الممتدة من الفلوجة حتى النجف. لونكريك، المصدر السابق، ص٥٦.

٣٢. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٤، طبع على نفقة مكتب أمير دولة قطر، مطابع علي بن علي، الدوحة، د.ت، ص١٧٩٥م.

٣٣. نيبور، المصدر السابق، ص١٣٣.

٣٤. لونكريك، المصدر السابق، ص٢٦١..

٣٥. جون أشر، مشاهدات جون أشر في العراق، ضمن كتاب رحالة أوربيون في العراق، ترجمة جعفر خياط، شركة دار الوراق، بغداد، ٢٠٠٧م، ص١٥٤.

٣٦. عبد الحسين الكليدار آل طعمة، تاريخ كربلاء المعلّى، ص٢٣- ٢٤. سلمان هادي آل طعمة، المرجع السابق، ص٣٧٣.

٣٧. لونكريك، المصدر السابق، ص٣٤٥- ٣٤٦ لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٤،ص١٩٩٠م. عباس العزاوي، المرجع السابق، ج٧، ص٧٨ هناك تبريرات أخرى لحملة نجيب باشا على مدينة كربلاء ساقها بعض المؤرخين، فعلى سبيل المثال يذكر السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة موجزاً عنها فيقول: في سنة ١٢٥٨هـ شق أهالي كربلاء عصا الطاعة على الدولة وأبوا أداء الضرائب والمكوس وكان والي العراق (نجيب باشا) فجهّز جيشًا بقيادة سعد الله باشا وسيره إلى كربلاء، فحاصرها حصاراً شديداً، وأمطر المدينة بوابل قنابله ولم يساعده الحظ على افتتاحها لأنَّ سورها كان منيعاً جداً وقلاعها محكمة لا يمكن للقائد الدنو منها ولّما أعيت به الحيل الحربية التجأ إلى الخداع فأعطى الأمان للعصاة وضمن لهم عفو الحكومة فأخلو القلاع وجاؤوا طائعين، فقبض عليهم وسلط المدافع على الجهة الشرقية فهدم السور وأصلى المدينة ناراً حامية ففتحها وارتكب فيها كل فظاعة وشناعة ودخل بجيشه إلى صحن العباس وقتل كل من لاذ بالقبر الشريف وبهذه الموبقات أعادت سلطة الحكومة إلى تلك الربوع، والله علام الغيوب»..تاريخ كربلاء المعلى، ص٢٤ – ٢٥. أمّا لونكريك فيذكر أنّ سبب حملة نجيب باشا هو أنّ كربلاء صارت ملجأ للهاربين والمجرمين والعصاة. وكانت لسنوات طويلة بعيدة عن الحكم التركي تقريبا، فلم يتسنّ لداود باشا ولا لعلي رضا الدخول إليها. وآلت في سنة ١٨٤٢م حكومتها الداخلية إلى رؤساء العصابات من "اليارماز". وقد ألزم نجيب باشا البلدة بقبول الحامية التركية وبقائها فيها، فرفضت وتبع ذلك الرفض العمليات العسكرية. أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص٣٤٦.

٣٨. ب.م.دانتسيغ، الرحالة الروس في الشرق الأوسط، ترجمة معروف خزنه دار، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م، ص٢٤٣.

39. Peters, J. P, Nippur or Explorations and the Euphrates, 1880 – 1890, V.2, New York and London, 1898, P. 331.

٤٠. لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج٣، ص١٢١٠.

٤١. عبد الصاحب ناصر آل نصر الله، كربلاء في أدب الرحلات، مؤسّسة البلاغ، بيروت، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، ص٣٥٦.

٤٢. رعد لفته حسين السعدوني، المرجع السابق، ص٥٧.

٤٣. التجوية: يمكن تعريف التجوية على أنّها مجمل التغيرات الفيزيائية والكيميائية-من تحلل(Decompositionll) وتفكك (Disintegration)-التي تحدث للصخور على سطح الأرض حيث تكون حركة ونقل المعادن والصخور المتحللة والمفككة معدومة أو شبه معدومة، وهي أنواع فيزيائية وكيميائية وإحيائية.

٤٤. لم تعالج ارتفاع الرطوبة في أرض مدينة كربلاء إلّا بعد شق المبازل فيها وكان ذلك في بداية القرن العشرين. وبسبب ارتفاع الرطوبة ورخاوة الأرض أصبحت المدينة تتوسع نحو الصحراء وكذلك المقابر.

٤٥. عبد الحسين الكليدار آل طعمة، المرجع السابق، ص٢١.

٤٦. ب.م. دانتسيغ، المصدر السابق، ص٢٤٣.

٤٧. لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج٣، ص١٢١٠.

٤٨. عبد العلي خان، رحلة عبد العلي خان (أديب الملك) سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م، ضمن كتاب العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه، ترجمة محمد الشيخ هادي الأسدي، مطابع شركة مجموعة العدالة للصحافة والطباعة والنشر، بغداد، ٢٠١١م، ص٤٤.

٤٩. جون أشر، المصدر السابق، ص١٥٦.

٥٠. مدام ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا إلى كلدة – العراق سنة ١٨٨١م، ترجمة علي البصري، مطبعة أسعد، بغداد، ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م، ص١٥١.

٥١. المصدر نفسه، ص١٥٢.

52. Loftes, op.cit, P- 65

53. ibd, P . 61.

٥٤. مدام ديولافوا، المصدر السابق، ص١٥٢.

٥٥. ليدي درور، في بلاد الرافدين ... صور وخواطر، ترجمة فؤاد جميل، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٠م، ص٨٥.

٥٦. نيبور، المصدر السابق، ص١٣٣.

٥٧. سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء، ص٩٩.

58. Peters, J. P, Op.cit, P. 331.

٥٩. رحلة إلى شفاثا وقصر الأخيضر وأحمد بن هاشم، مجلّة لغة العرب،ج١، العدد ٢٥، السنة الثالثة، ١٩١٣، ص٢٦.

٦٠. عبد العلي خان، المصدر السابق، ص٤٤

٦١. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٤، ص١٩٩١م.

٦٢. سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء، ص١١٣.

٦٣. عبد العلي خان، المصدر السابق، ص٤٠-٤١.

٦٤. ناصر الدين شاه، العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه، ترجمة محمد الشيخ هادي الأسدي، مطابع شركة مجموعة العدالة للصحافة والطباعة والنشر، بغداد، ٢٠١١م. ص١٥٤.

المصادر والمراجع:

أوّلًا / المصادر باللغة العربية

١. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة - تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج٢، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ.

٣. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٥، تحقيق محمّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣١٢هـ - ١٩٩٢م.

٤. ب.م.دانتسيغ، الرحالة الروس في الشرق الأوسط، ترجمة معروف خزنه دار، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م.

٥. جون أشر، مشاهدات جون أشر في العراق، ضمن كتاب رحالة أوربيون في العراق، ترجمة-جعفر خياط، شركة دار الوراق، بغداد، ٢٠٠٧م.

٦. سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣١٥ دفعة ١٣.

٧. سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٨. سلمان هادي آل طعمة، كربلاء في الذاكرة، بغداد، ١٩٨٨م.

٩. السيد حسن بن هادي الصدر الكاظمي، نزهة أهل الحرمين في عمارة المرقدين، تحقيق محمّد رضا أنصاري، إيران، ١٣٨٧هـ.

١٠. أبو طالب خان، رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربا سنة ١٢١٣هـ - ١٧٩٩م، ترجمها من الفرنسية مصطفى جواد، مطبعة الإيمان، بغداد، د.ت.
١١. الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧م.
١٢. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، الدار العربية للموسوعات،، بغداد، د. ت.
١٣. عبد الجواد الكليدار آل طعمة، تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ١٤١٨هـ.
١٤. عبد الحسين الكلدار آل طعمة، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، تحقيق عادل الكليدار، مطبعة الإرشاد، بغداد، د.ت.
١٥. عبد الحسين الكليدار آل طعمة، تاريخ كربلاء المعلى، المطبعة العلوية، النجف الأشرف ١٣٤٩هـ.
١٦. عبد الصاحب ناصر آل نصر الله، كربلاء في أدب الرحلات، مؤسّسة البلاغ، بيروت، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
١٧. عبد العلي خان، رحلة عبد العلي خان (أديب الملك) سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م، ضمن كتاب العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه، ترجمة محمد الشيخ هادي الأسدي، مطابع شركة مجموعة العدالة للصحافة والطباعة والنشر، بغداد، ٢٠١١م.
١٨. فاضل بيات، بغداد من خلال أرشيف الوثائق العثماني، إعداد فاضل بيات، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية،

استانبول، ٢٠٠٨م.
١٩. الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة موسى كاظم نورس، دار الكتاب العربي، بيروت ومكتبة النهضة، بغداد.
٢٠. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٤، طبع على نفقة مكتب أمير دولة قطر، مطابع علي بن علي، الدوحة، د.ت.
٢١. لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، مطبعة التفيض الأهلية، ط٤، بغداد، ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م.
٢٢. ليدي درور، في بلاد الرافدين ... صور وخواطر، ترجمة فؤاد جميل، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٠م.
٢٣. محمد الأمين، أعيان الشيعة، م٥، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٢٤. مدام ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا إلى كلدة – العراق سنة ١٨٨١م، ترجمة علي البصري، مطبعة أسعد، بغداد، ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م.
٢٥. ناصر الدين شاه، العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه، ترجمة محمد الشيخ هادي الأسدي، مطابع شركة مجموعة العدالة للصحافة والطباعة والنشر، بغداد، ٢٠١١م.
٢٦. نظمي زاده مرتضي، كلشن خلفا، ترجمة موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧١م.
٢٧. نيبور، مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة إلى الحلّة سنة ١٧٦٥م،

منشور ضمن كتاب رحلة نيبور الكاملة إلى العراق، دار الوراق، بغداد ـ بيروت، ٢٠١٢م.

٢٨. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

ثانياً: المصادر باللغة الانكليزية:

29. Peters. J. P. Nippur or Explorations and the Euphrates. 1880 – 1890. V.2. New York and London. 1898. P. 331.

30. Loftus. William Kennett. Travels & Researches in Chaldeac & Susiana. London – 1857. P – 64.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

٣١. رعد لفته حسين السعدوني، المدينة العربية الإسلامية من منظور معماري وحضري دراسة تحليلية لمركز مدينة كربلاء، رسالة ماجستير / كلية الهندسة / جامعة بغداد، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

رابعاً: البحوث

٣٢. جعفر الخياط، مشاهدات تكسيرا في العراق سنة ١٦٠٤م، مجلّة الأقلام، ج٤، بغداد ١٩٦٤م.

٣٣. رحلة إلى شفاثا وقصر الأخيضر وأحمد بن هاشم، مجلّة لغة العرب،ج١، العدد ٢٥، السنة الثالثة، ١٩١٣م.